

الانعكاس المباشر وغير المباشر لفلسطين روائيا في السينما العربية

فايز غالي

ربما تكون قضية نضال الشعب الفلسطيني بل القضية الفلسطينية عموما مسن أخطر القضايا السياسية التي عاشتها الأمة العربية وتعيشها حتى اليوم بل تعلق فوق كل القضايا الأخرى التي عاشتها الأمة العربية (النضال من أجل الاستقلال - القضاء على الملكية والاقطاع) ففي هذه القضية تكمن مأساة الأمة العربية ليس فقط في معاناة الشعب الفلسطيني الذي تتألم من أجله هذه الأمة بل معاناة الأمة العربية كلها اليوم من مجرد ظهور كلمة (اسرائيل) على الخريطة السياسية في ١٥ مايو ١٩٤٨ وفي الأبعاد السياسية التي ترتبت على ظهورها في المنطقة والدليل على ذلك ان نضال الأمة العربية من أجل انهاء الاحتلال قد أتى إليها بالاستقلال وقضى على ملكيات ورجعية واقطاع ودفع ببعض الدول العربية الى التنمية والتقدم . الا ان بقاء قضية فلسطين خارج اطار الحل ومن ثم تثبيت اركان اسم (اسرائيل) على الخريطة جعل الاستقلال والتنمية والتقدم هذه تهتز وتفرغ هذا الاستقلال من معناه بشكل أو بآخر وجعل دولا أخرى تتوقف عند محاولة الخروج من التخلف بالتنمية والتقدم . أي أن وجود اسرائيل على أرض الشعب الفلسطيني المشرود قد غدا من حيث لا ندري أو حيث لم يدرب به المناضلون من أجل الاستقلال في الأمة العربية وفي غمرة حماسهم الوطني المحلي - تكرارا لنفس المأساة التي أفنوا أنفسهم من أجل الخروج منها بحيث وبعد تسعة عشرة عاما في الخامس من يونيو عام ١٩٦٧ وجدوا أنفسهم في نفس موقع الخطر القديم بل وما هو اشنع ربما لأنه لم يكن في حساباتهم انه ببقاء اسرائيل فان الخطر يبقى كما هو أو لانهم لم يملكوا النظرة الشمولية والتكاتف والتساند والوحدة الحقيقية قبل ١٥ مايو ١٩٤٨ والذي كان يعني الفهم الحقيقي لمعنى الوحدة بين النضال من أجل انهاء الاحتلال والحصول على الاستقلال كنضال وطني محلي وبين عدم ظهور اسرائيل كجزء من هذا النضال والذي كان لا بد ان يكون شاملا هذا الفهم الذي كان يعني بالضرورة ان النضال لا يتجزأ .

وإذا كانت هذه النظرة القاصرة المحدودة الرؤيا قد استمرت ردحا طويلا من الزمن على المستوى السياسي حتى تغيرت اليوم ليس في الدول العربية فحسب بل وفي كثير من بلدان العالم . . بعد أن أوضح الخامس من يونيو بنكسته الحقيقة كاملة عارية للجميع . فان ما انسحب على المستوى السياسي قد انسحب أيضا على السينما العربية كصناعة ومن بقيت هي الأخرى بمعزل حقيقي عن هذه القضية - ولحق فان السينما العربية قبل ظهور اسرائيل كانت بمعزل عن كل شيء وحتى على مستوى النضال المحلي قبل الاستقلال ثم بشكل محدود وتجاري ودعائي خاص بالمناسبات الوطنية أو عقب الحروب بعد الاستقلال - (وانا هنا أتحدث عن مصر على وجه